

القـفـص

واخيرا ، محاكمة •

سالنا : هل يحضر المتهم ؟ فابتسمت قافلة المسافرين الى دمشق • وقال ضابط على الحدود : ماذا ستفعلون به ؟ قلنا : سنقتلو او نستمع الى تلاوة لأئحة الاتهام •

وكنا نتساءل في صمت : هل تأخرنا قليلا ام كثيرا ؟ لقد دق جرس الانذار مبكرا ، وكان على النيل ان يعرف ان مجرد تحول هذا الفرد - هذا النوع من الافراد - الى احتمال حكم ، يعني ان نواطير مصر نامت عن ثعالبها • ويعني ان في العالم الثالث كله خلا • ويعني ان المحاكمة ستشمل البناء ، والمرحلة ، وشروط الطاعة •

ولكن النيل لا يصب في نهر آخر • وكان واضحا لمن اکتوى بالرمل ان اقامة الجندي في هذه الرمضاء ستحوله الى يد فولاذية لاقتحام الماء الازرق المغسول بالدم ، ليس من أجل الوطن وحده ، بل من أجل الخلاص من مقبرة الرمل • ولكن القناة على الارض شيء ، وعلى خارطة الحاكم شيء آخر ، فهي ليست أكثر من خيط رفيع من الماء يفضي الى رمل آخر • ان مثل هؤلاء الحكام غير قادرين على التمييز بين حبة الرمل وبين التاريخ الانساني الذي يحمله قلب فلاح من الصعيد ، لان له طريقة خاصة في تحديد اعدائه • فاعداؤه هم اولئك الحفاة الذين يمرون بالقصر على مهل دون ان يسألوا : لماذا تطيع ؟ واعدائه هم اولئك الطلبة الذين يتدربون على صياغة السؤال : لماذا تطيع ؟ أما الغزاة الذين يذلون مصر والامة فهم اصدقاء المستقبل ، هم المشهورة المكيوتة ، والوعد الاميركي الجميل •

الى اين تتجه المدافع اذن ؟ واية حرب نخوض ؟ لذلك كان على الذين لم يعرفوا حقيقة انقلاب الخامس عشر من ايار ان يعرفوا ان هذه النهاية لم تات من زاوية